نصائح إلى الشباب

سماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني

نصائح إلى الشباب

مجموعة وصايا قيمة لسماحة المرجع الديني الأعلى

السيد علي الحسيني السيستاني (مد ظله)

مهداة إلى الشباب

I.M.A.M.

Imam Mahdi Association of Marjaeya

Imam Mahdi Association of Marjaeya, Dearborn, MI 48124, www.imam-us.org
© 2017 by Imam Mahdi Association of Marjaeya
All rights reserved. Published 2017.
Printed in the United States of America

ISBN-13: 978-0-9982544-4-9

No part of this publication may be reproduced without permission from I.M.A.M., except in cases of fair use. Brief quotations, especially for the purpose of propagating Islamic teachings, are allowed.

جدول المحتويات

مقدمة الناشر v

- أهمية نصائح العلماء vi
- أهمية هذه النصيحة viii
- الفقهاء والإعلام x
- كيف نتواصل مع مراجع الدين؟ xiii

نص السؤال 1

نص النصائح والوصايا 5

- الأولى: لزوم الإعتقاد بالله وباليوم الآخر 7
- الثانية: الإتصاف بحسن الخلق. 8
- الثالثة: السعي بكسب تخصص أو مهنة 9
- الرابعة: إلتزام مكارم الأفعال والأخلاق 12
- الخامسة: الإهتمام بتكوين الأسرة والزواج والإنجاب 13
- السادسة: السعي في أعمال البر ونفع الناس 15
- السابعة: أن يحسن كل امرء أمر ما يتولاه 16
- الثامنة: أن يتحلّى المرء بروح التعلّم وهمّ الازدياد من الحكمة والمعرفة في جميع مراحل حياته ومختلف أحواله 17

جدول المحتويات

الملحق

مختصر عن السيرة الذاتية لسماحة السيد السيستاني مد ظله 21

- **الولادة والنسب** 21
- **شخصيته**.....22
- **المسيرة العلمية**.....23
- **مميزات مدرسته الفكرية**.....25
- **مرجعيته** 26
- **جهاده ومواقفه** 27

مقدمة الناشر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على محمد وأهل بيته الطيبين الطاهرين

لا يخفى على أحد، ما للكلمة النابعة من القلب من أثر ووقع على الآخرين. فكيف إذا كانت صادرة من شخص خَبَرَ الحياة وتجاربها ويقدم عصارة فهمه وتجربته عبر كلمات دقيقة ومعبرة؟ وكيف إذا كانت مقرونة بالعمل والتجربة الشخصية وليست مجرد رؤى ونظرات واستحسانات؟ ثم وكيف إذا كانت صادرة من شخص يمتلك مقاماً روحياً كبيراً، وموقعية شرعية عليا كموقع نيابة الإمام المهدي (عليه السلام)؟

إن ما بين يديك، أيها القارئ الشاب، مجموعة دُرَر قيمة ونادرة من النصائح التي صدرت من شخص يحمل جميع هذه المميزات، ألا وهو المرجع الديني الأعلى للمسلمين، سماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (مد ظله)[1].

---

1) رأينا من الضروري التعريف بسماحته ولو مختصراً، ولذا أفردنا فصلاً مختصر عن سيرته الذاتية مرفقاً بنهاية هذا الكتيّب.

أهمية نصائح العلماء

إن واحدة من أخطر الأمور وأشدها هو أثر قول وفعل الشخصيات الشهيرة عالمياً، سلباً أو إيجاباً. فالجميع يلاحظ كيف يتم استغلال أسماء كبيرة في مختلف المجالات لأغراض دعائية أو اقتصادية أو سياسية وغير ذلك من أجل استمالة الرأي العام لهذه المصلحة أو تلك. وأخطرها حينما تكون صادرة من أهل العلم، وأخطر منها حينما تكون صادرة من علماء دين روحانيين كون المتوقع منهم هو التجرد التام بعيداً عن أية تأثيرات جانبية.

﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ ﴾

﴿القرآن الكريم، سورة الأعراف، آية ٦٢﴾

إن من أهم شرائط النصيحة هي أن تكون خالصة لله تعالى بعيدة كل البعد عن أية أجندات أو انحياز أو مصالح شخصية أو مصالح فئوية وما شابه. إن القرآن الكريم يعرض صوراً مشرقةً ونماذج ربانية عالية في إسداء النصيحة وإبلاغ الكلمة الطيبة. كما في قصة النبي نوح

(عليه السلام) حيث يقول القرآن عن لسانه: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاَتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ اللّهِ مَا لاَ تَعْلَمُونَ﴾[2]، وفي قصة النبي هود (عليه السلام) حيث يقول: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَالاتِ رَبِّي وَأَنَاْ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ﴾[3]، بل وحتى الأنبياء أنفسهم جعل الله لهم ناصحين مشفقين كما في قصة الرجل المؤمن في قوم فرعون الذي كان سنداً وظهراً للنبي موسى (عليه السلام) حيث يتحدث القرآن عن مساعيه وإسهاماته في نجاته أيضاً، إذ يقول القرآن عنه: ﴿وَجَاء رَجُلٌ مِّنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ يَسْعَى قَالَ يَا مُوسَى إِنَّ الْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَاخْرُجْ إِنِّي لَكَ مِنَ النَّاصِحِينَ﴾[4] وكذلك في جوانب من سيرته مع الخِضْر الذي كان سنداً وظهراً ومعلماً له. وهكذا تتوالى النصائح الإلهية على ألسن أئمة أهل البيت (عليهم السلام) الواحد منهم بعد الآخر، وقد جمعها المحدثون[5] في موسوعات حديثية كثيرة.

وهكذا، يأتي دور الفقهاء الذين كُلِّفوا من قبل أئمة أهل البيت (عليهم السلام) بالنيابة عنهم لقيادة وهداية المؤمنين في عصر الغيبة. فترى كماً غير قليل من فقهاء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام) قد تصدوا طيلة أكثر من ألف عام، منذ غيبة الإمام المهدي (عليه

2) القرآن الكريم، سورة الأعراف، آية ٦٢.

3) القرآن الكريم، سورة الأعراف، آية ٦٨.

4) القرآن الكريم، سورة القصص، آية ٢٠.

5) "المحدّث" مصطلح يطلق على الشخص الذي يحفظ آلاف الأحاديث وقد يجعلها في موسوعة، كموسوعة "الكافي" للشيخ محمد بن يعقوب الكليني (متوفي سنة ٣٢٩ هجرية).

السلام) وحتى اليوم، بتقديم النصائح والإرشادات إلى المؤمنين ليمارسوا دورهم المسؤول أمام الله تعالى بأحسن شكل، ويهنأوا بحياتهم الدنيا ويضمنوا حياتهم الآخرة.

أهمية هذه النصيحة

إن نصيحة سماحة آية الله العظمى السيد السيستاني (مد ظله) هذه، هي واحدة من تلكم النصائح الخالدة لفقهاء مدرسة أهل البيت (عليهم السلام)، وقد حملت أهمية خاصة لعدة أسباب، منها:

١) إنها صادرة من عالِم حكيم جاوز الثمانين من عمره، قضى حياته بين بطون الكتب في شتى العلوم، خَبَرَ بها الحياة ولاقى شتى أصناف الصعاب، وطاف مختلف البلاد، وتعرف على شتى أصناف العباد، وربَّى أسرة وحفدة جُلُّ أفرادها أعلام ومميزين وإستثنائيين من جميع الجهات. إذن فهي نصيحة تأتي بعد تجربة ناجحة ومتينة وهي مثال يقتدى به وليست من وحي الافكار والخواطر ورسم المخيلة كما في كثير من كتب الروايات الأدبية وكتب الإرشاد النظرية.

٢) إنها صادرة من جهة دينية عليا. فالمرجع الديني إنما هو فقيه جامع لشرائط الفتيا ويمثّل الإمام المهدي (عليه السلام) الذي هو الخليفة الشرعي للنبي الخاتم (صلى الله عليه وآله)، والنبي

هو رسول عن الله سبحانه وتعالى إلى الخلق. ولذا فالكلمة التي تصدر من شخص بهذا المستوى والمقام سيكون وقعها وأثرها غير ما أن تخرج من شخص آخر مهما بلغ شأنه. إذن، هي ليست مجرد وصية إنما دستور حياة وبرنامج عمل يفترض بكل شاب مؤمن الإلتزام والعمل بها.

٣) إنها وصية خاطبت جيل الشباب ككل أي الجميع دونما إستثناء. وهذه سمة خطاب الأنبياء والمرسلين الذين بعثهم الله تعالى إلى جميع الناس. فمارس سماحة السيد السيستاني نصائحه هنا ووجّهها إلى الجميع دونما استثناء. وهذا منهج المرجعية الدينية العليا بممارسة الروح الأبوية والإرشادية. فالمرجع الديني هو مرجع وإمام ومرشد وأب للجميع على حد سواء فلا يمكنه حصر خطابه الأبوي بقومية معينة أو بلد معين أو فئة معينة أو حزب معين، بل إن موضوعه هو الإنسان لا غير.

٤) أتت الوصية شاملة ومستوعبة لجميع ما يحتاجه الشاب في بدايات حياته وشبابه من جميع الجهات. فمرحلة الشباب إنما تعني بناء الذات، وبناء الروح، وبناء الفكر، وبناء الشخصية، وبناء السلوك، وبناء الأسرة، وبناء المستقبل. وقد جاءت هذه الوصية متكاملة الأطراف مستوعبة جميع ذلك بحيث تشكل خارطة طريق لأي شاب يطمح للرقي والنجاح في الحياة.

٥) مضافاً إلى جميع ما مرّ، فإن سماحة السيد ركز على جانب الإختصاصات العلمية وأهميتها وضرورة الإبداع فيها. كما ركز على جانب المرأة بشكل ملفت مكملاً تركيزه على أهمية وضرورة البناء الأسري والإجتماعي.

إن هذه الوصية حقاً يجب أن تتخذ كمنصة إنطلاق، وتوضع كخارطة طريق، لأي شاب يطمح إلى النجاح في الحياة الدنيا وفي الآخرة. قد لا تخلو حياة أي شاب من الشباب وفي وقت من الأوقات من بروز ظاهرة التطرف في حياته. فقد ترى شاباً إما أن يتدين ويغالي بتدينه الظاهري والشكلي فيحرم نفسه من كثير من فرص التقدم في الحياة الدنيا، وبالنهاية فهو لا يضيف سوى شخصية إضافية عالة على المجتمع. وإما قد تراه يتطرف في ابتعاده عن الدين وينغمس بالظواهر المادية والعيش المادي البحت فلا يرى طعماً في هذه الحياة سوى الكد والتعب من أجل جمع المال للمال فهو آلة ليس إلا. وغالباً ما تؤدي مثل هذه الحياة الى كئابة والى ضجر قد يصل الى حد الانتحار. بينما هذه الوصية النادرة يمكن لها أن تضمن سعادة الشباب فيما إذا التزمها وعمل بها.

الفقهاء والإعلام

يتردد سؤال بين الحين والآخر ولا سيما على ألسنة الشباب مستفسرين عن ظاهرة عدم ظهور مراجع الدين الكبار كسماحة

السيد السيستاني (مد ظله) على شاشات التلفزة والإعلام ليخاطبوا محبيهم ومقلديهم، ويدلوا بتعليماتهم وإرشاداتهم إليهم بشكل مباشر. فإن ذلك سيكون له أعظم الأثر، ويزيد من العلاقة والمودة بين القائد وأتباعه. فلماذا لا تكون هذه النصيحة الغراء تبث بشكل مرئي ومسموع عبر وسائل الإعلام العامة؟

وفي معرض الجواب على هذا التساؤل، يمكن الإشارة إلى ما يلي:

١) إن أصل الإشكال لا يبدو مستقيماً كونه قد يكون نابعاً من تعوّد وتأقلم كثير من الناس على التعاطي اليومي مع الجهات السياسية الحاكمة. بينما علماء الدين الكبار وفي موقعية الزعامة الدينية والروحية فإنهم غالباً لا يظهرون على وسائل الإعلام إلا عند الضرورة.

٢) إن الظهور الإعلامي في مناسبة ما، أو في قضية ما، يستوجب الحضور الدائم في كل مناسبة وفي كل قضية. والحضور الإعلامي الدائم لكبار العلماء والفقهاء فضلاً عن غيرهم يقلل من هيبتهم ومكانتهم وشدة الإنتباه إليهم ومتابعتهم. فالفقيه مثلاً لا يخرج على وسائل الإعلام بل ولا يتكلم في الشأن العام إلا عند الضرورة، لكنه في الوقت ذاته إن نطق بكلمتين فإنهما يهزان العالم بأسره. إذن هناك سرّ يجب أن يُفهم وفن يجب أن يُدرك.

٣) إن الظهور الإعلامي الدائم هو عادة ما يكون من شأن المتصدين للأمور الإدارية والتنفيذية والإجرائية بحيث تفرض عليهم الحاجة اليومية وتفاصيل الحياة اليومية وفقاً للمتغيرات والأحداث. بينما علماء الدين وخاصة كبار الفقهاء، بل عموم العلماء في جميع الحقول العلمية والجامعات الكبرى قد لا يرى بالظهور والتحدث إلا نادراً. بل إن بعض زعماء الحوزات العلمية وبعض عمداء كبرى الجامعات العريقة لم يتحدث التأريخ عن أي ظهور إعلامي لهم بحياتهم كلها ولا مرة واحدة.

٤) إن آليات التعاطي الإعلامي المعاصر باتت من الخطورة بمكان في فن تناقل الأخبار وطريقة عرضها، وثم تنافس وصراع الجهات الإعلامية على تسجيل سبق في نقل الأحداث يتسبب كثيراً ما في زعزعة الأوضاع العامة ويؤدي إلى إضرار وإلى مخاطر يصعب حينئذ إصلاحها بسبب التسارع وعامل الوقت هو أمر يدعو للحذر الشديد. وهنا يقتضي بمن يحمل أمانة إنسانية وأمانة شرعية تجاه مجتمعه وبلده لا بد وأن يكون في أعلى درجات الحيطة والحذر من إدخال المجتمع في أتون القلق والحيرة والضياع، فكيف بالفقهاء أمناء الرسل على الدين وأهله؟ فإن الفقيه يعد للماءة وما بعد الماءة قبل أن ينبس ببنت شفة.

من هنا، نهيب بالمؤمنين الكرام، وبالمحبين والمخلصين، التواقين إلى متابعة مراجع الدين العظام والتشرف برؤيتهم والإستماع إليهم عبر وسائل الإعلام أن يعوا هذه المخاطر وأن يعوا الظروف التي تحيط بهم وتضطرهم إلى إتخاذ مثل هذه الإحتياطات التي هي في الواقع من أجل المؤمنين أنفسهم ومصلحتهم بالدرجة الأولى. وإلا فإن التجارب العملية التي ينقلها زوار المراجع العظام في مقارهم تشهد وتؤكد مدى سعادتهم وفرحتهم بلقاء المؤمنين والتحدث إليهم والإستماع منهم فضلاً عن الزوار أنفسهم وشغفهم بلقاء مراجع الدين وشدة تأثرهم بهم، وإلا فليس في الأصل مانع أساساً لو لا هذه الظروف والمحاذير.

كيف نتواصل مع مراجع الدين؟

التواصل بين الزعامة الروحية وبين المؤمنين أصل لا نقاش فيه. فالمرجع الديني قد نذر – سلفاً – ثمرة حياته العلمية والروحية من أجل إيصال أمانة الأنبياء والرسل إلى الناس بشكلها السليم لتتم عملية إبلاغ كلمة الله إلى عباده. وكانت الحياة في عصر النبوة وما بعدها لفترات طويلة سهلة وبسيطة إذ كان النبي (صلى الله عليه وآله) يجلس في فناء المسجد ويستقبل الناس يومياً. وهكذا يحدثنا التأريخ عن أبرز أستاذ للعلوم الإسلامية من أهل البيت عليهم السلام الإمام جعفر الصادق (عليه السلام) بالإضافة إلى حلقات درسه الشهيرة والتي كانت تقتصر على العلماء والباحثين، إلا إنه كان يجلس في مسجد النبي في المدينة

ويراجعه الناس ويسألونه ويسترشدون بآرائه وإرشاداته إلى درجة الملاطفة مع عامة الناس والإستيئناس بهم. إلا أن تعقيد الحياة المعاصرة من جميع جوانبها حيث أصبحت الدنيا قرية صغيرة بفضل ثورة تقنيات التواصل وكثرة المراجعين والمستفسرين، وبسبب تفتق العلوم وفروعها واشتقاقاتها حيث فرضت واقعاً فكرياً وبحثياً ضخماً وكبيراً على الحوزات العلمية، ناهيك عن الأوضاع الاجتماعية والسياسية العاصفة وإلى جانبها الظروف الأمنية والمخاطر التي ترافقها، كل ذلك وغيره، جعل مهمة مراجع الدين في غاية الصعوبة وفي غاية العسر والحيطة والحذر، فتسبب في حرمان حياة البساطة المشهودة أيام عصر النبوة وأيام الأئمة الطاهرين (صلوات الله عليه وعليهم أجمعين).

ومع كل ذلك، فإن الأمر لا يبدو بالمعضل والمشكل غير قابل للحل. فإن وسائل الإتصال وحفظ التواصل مع مراجع الدين والفقهاء وأعلام الحوزات العلمية قائم عبر مختلف الطرق مع جميع ما ذكر من عقبات وصعوبات. فعلى حد التحدث والتصريح للمؤمنين فإن ما يريد المرجع الديني إبلاغه وإيصاله إلى المؤمنين فهو يصدر بتعليماته إما عبر مخطوطة مختومة بختمه الشريف، وإما أن يتبنى مكتبه الخاص نشر بيان محدد ما من خلال الموقع الألكتروني للمكتب. أو ما يصدر عن المكاتب المنتشرة في مختلف الأقطار والتي يشرف عليها وكلاء شرعيون له يمثلون وجهات نظره وآرائه وفتاواه وإرشاداته وتعليماته كل حسب حدوده والصلاحيات الممنوحة إليه. وإما على حد اللقاء والتشرف بالحضور، فإن المراجع العظام مع

ضيق وقتهم وكثرة مشاغلهم في القضايا الكبرى فإنهم لا ينفكون يومياً من إستقبال المؤمنين من شتى بقاع العالم على اختلاف ألوانهم والسنتهم، بل ومنهم من يجعل وقتين صباحاً ومساءً لاستقبال الزوار الكرام.

وهنا نود تشجيع المؤمنين ولا سيما الشباب بترتيب زيارات دورية أثناء فترات العطل الدراسية يزورون بها المقامات الشريفة لأئمة أهل البيت (عليهم السلام) في بلاد الشرق الأوسط، وثم يعرجوا على زيارة ولقاء مراجع الدين والفقهاء وأساتذة الحوزات العلمية. مضافاً إلى زيارة الآثار التاريخية التي تسهم بشدهم بحضارتهم وتأريخهم وتراثهم الذي يمتد إلى آلاف السنين في بلاد ما بين النهرين وغيرها.

نص السؤال

بسم الله الرحمن الرحيم

تحيّة طيبة للمرجع الديني الأعلى سماحة آية الله العظمى السيد علي الحسيني السيستاني (دام ظلّه الوارف)

نحن جمعٌ من الشباب الجامعي ومن الذين ينشطون في المجال الإجتماعي، نرجوا التفضّل علينا ببعض النصائح التي تنفعنا في هذه الأيّام والتي توضح دور الشباب وماذا يتطلّب منهم لكي يمارسوا دورهم، وغيرها من النصائح التي تنفعهم برأيكم الكريم.

جمعٌ من الشباب الجامعي والناشطين الاجتماعيين

نص

النصائح الوصايا

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على
محمدٍ وآله الطاهرين

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

أمّا بعد فإنّني أوصي الشباب الأعزاء – الذين يعنيني من أمرهم ما يعنيني من أمر نفسي وأهلي – بثمان وصايا هي تمام السعادة في هذه الحياة وما بعدها، وهي خلاصة رسائل الله سبحانه إلى خلقه وعظة الحكماء والصالحين من عباده، وما أفضت إليه تجاربي وانتهى إليه علمي.

الأولى: لزوم الاعتقاد الحق بالله سبحانه والدار الآخرة. فلا يفرطن أحدكم بهذا الاعتقاد بحالٍ بعد أن دلّت عليه الأدلّة الواضحة وقضى به المنهج القويم، فكل كائنٍ في هذا العالم – إذا سبر الإنسان أغواره – صنع بديع يدلّ على صانع قدير وخالق عظيم، وقد توالت سبحانه رسائله من خلال أنبيائه للتذكير بذلك، وقد أبان فيها عزّ وجل أنّ حقيقة هذه الحياة – كما رسمها هو – مضمار يبلو فيه عباده أيّهم أحسن عملاً، فمن حجب عنه وجود الله سبحانه والدار الآخرة فقد غاب عنه من الحياة معناها وآفاقها وعاقبتها وأظلمت عليه المسيرة

فيها، فليحافظ كلّ واحدٍ منكم على اعتقاده بذلك، وليجعله أعزّ الأشياء لديه كما هو أهمّها، بل يسعى إلى أن يزداد به يقيناً واعتباراً حتّى يكون حاضراً عنده، ينظر إليه بالبصيرة النافذة والرؤية الثاقبة، وعند الصباح يحمد القوم السرى.

وإذا وجد المرء من نفسه في برهة من عنفوان شبابه ضعفاً في دينٍ مثل تثاقلٍ عن فريضةٍ أو رغبةٍ في ملذّةٍ فلا يقطعن ارتباطه بالله سبحانه وتعالى تماماً، فيصعّب على نفسه سبيل الرجعة، وليعلم أنّ الإنسان إذا تنكّر لأمر الله سبحانه في حالة الشعور بالقوّة والعافية اغتراراً بها فإنّه يؤوب إليه تعالى في مواطن العجز والضعف اضطراراً، فليتأمل حين عنفوانه – الذي لا يتجاوز مدّة محدودة – في ما هو مقبل عليه من مراحل الضعف والوهن والمرض والشيخوخة.

وإيّاه أن ينزلق إلى التشكيك في المبادئ الثابتة لتوجيه مشروعية ممارساته وسلوكه اقتفاءً لشبهات لم يصبر على متابعة البحث فيها، أو استرسالاً في الاعتماد على أفكارٍ غير ناضجة أو اغتراراً بملذّات هذه الحياة وزبرجها، أو امتعاضاً من إستغلال بعضٍ لاسم الدين للمقاصد الشخصيّة، فإنّ الحق لا يقاس بالرجال بل يقاس الرجال بالحق.

الثانية: الاتّصاف بحسن الخلق، فإنّه جامع للفضائل الكثيرة من الحكمة والتروّي والرفق والتواضع والتدبير والحلم والصبر وغيرها، وهو بذلك

من أهمّ أسباب السعادة في الدنيا والآخرة، وأقرب الناس إلى الله سبحانه وأثقلهم ميزاناً في يومٍ تخفّ فيه الموازين هو أحسنهم أخلاقاً، فليُحسّن أحدكم أخلاقه مع أبويه وأهله وأولاده وأصدقائه وعامّة الناس، فإن وجد من نفسه قصوراً فلا يهملنّ نفسه بل يحاسبها ويسوقها بالحكمة إلى غايته، فإن وجد تمنّعاً منها فلا ييأس بل يتكلّف الخلق الحسن، فإنّه ما تكلّف امرؤٌ طباع قوم إلاّ كان منهم، وهو في مسعاه هذا أكثر ثواباً عند الله سبحانه ممّن يجد ذلك بطبعه.

الثالثة: السعي في إتقان مهنة و كسب تخصّص، وإجهاد النفس فيه، والكدح لأجله، فإنّ فيه بركات كثيرة يشغل به قسماً من وقته، وينفق به على نفسه وعائلته، وينفع به مجتمعه، ويستعين به على فعل الخيرات، ويكتسب به التجارب التي تصقل عقله وتزيد خبرته، ويطيب به ماله، فإنّ المال كلّما كان التعب في تحصيله أكثر كان أكثر طيباً وبركة، كما أنّ الله سبحانه وتعالى يحبّ الإنسان الكادح الذي يجهد نفسه بالكسب والعمل، ويبغض العاطل والمهمل ممّن يكون كلاًّ على غيره، أو يقضي أوقاته باللهو واللعب، فلا ينقضينَّ شباب أحدكم من دون إتقان مهنة أو تخصّصٍ فإنّ الله سبحانه جعل في الشباب طاقات نفسيّةٍ و جسديّةٍ ليكوّن المرء من خلالها رأس مالٍ لحياته، فلا يضيعنّ بالتلهّي والإهمال.

وليهتم كلّ واحدٍ بمهنته وتخصّصه حتى يتقنها، فلا يقولنّ بغير علم ولا يعملنّ على غير خبرة، بل يعتذر فيما لا يستطيعه أو يعلمه أو فليرجع إلى غيره ممن هو أخبر منه، فإنّه أزكى له وأجلب للوثوق به، وليعمل عمله ووظيفته بنَفَسٍ واهتمام، وتذوّقٍ وإقبال، فلا يكون همّه مجرّد جمع المال ولو من غير حلّه، فإنّه لا بركة في المال الحرام، ومن جمع مالاً من غير حلّه لم يأمن من أن يفتح الله عليه من البلاء ما يضطرّ إلى إنفاقه فيه مع مزيد عناءٍ وابتلاء، فلا غنى به للمرء في الدنيا، وهو وبال عليه في الآخرة.

« إنَّ اللهَ تَعالى يُحِبُّ إذا عَمِلَ أحدُكُم عَمَلاً أن يُتقِنَه »

﴿ عن النبيّ (صلّى الله عليه وآله) ﴾

وليجعل نفسه ميزاناً بينه وبين غيره فيكون عمله لغيره على نحو ما يعمله لنفسه، ويحبّ أن يعمله له الآخرون، وليحسن كما يحب أن يُحسن الله سبحانه إليه، وليراع أخلاقيات المهنة ولياقاتها، فلا يتشبث بالطرق الوضيعة التي يستحي من أن يعلنها، وليعلم أن العامل والمتخصّص مؤتمن على عمله من قِبَل من يعمل له ويرجع إليه،

فليكن ناصحاً له، وليحذرن خيانته من حيث لا يعلم، فإنّ الله تعالى رقيب عليه وناظر إلى عمله، ومستوفٍ منه إن عاجلاً أو آجلاً، وأنّ الخيانة والغدر لهما أقبح الأعمال عند الله سبحانه وأخطرها من حيث العواقب والآثار.

وليهتمّ الأطباء بين أهل المهن بمزيد اهتمام بهذه النصائح لأنهم يتعاملون مع نفوس الناس وأبدانهم، فليحذرن كل الحذر من تخطّي ما تقدّم فإنّه يؤول إلى سوء العاقبة وإنّ غداً لناظره قريب. وقد قال سبحانه عزّ من قائل: ﴿وَيْلٌ لِلْمُطَفِّفِينَ * الَّذِينَ إِذَا اكْتَالُوا عَلَى النَّاسِ يَسْتَوْفُونَ * وَإِذَا كَالُوهُمْ أَوْ وَزَنُوهُمْ يُخْسِرُونَ * أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ أَنَّهُمْ مَبْعُوثُونَ﴾، وعن النبيّ (صلّى الله عليه وآله): "إنّ الله تعالى يحبّ إذا عمل أحدكم عملاً أن يتقنه".

وليهتم طلاّب العلم الجامعي والأساتذة فيه بالإحاطة بما يتعلّق بمجال تخصّصهم مما انبثق في سائر المراكز العلمية وخاصّة علم الطب حتّى يكون علمهم ومعالجتهم لما يباشرونه في المستوى المعاصر في مجاله، بل عليهم أن يهتمّوا بتطوير العلوم من خلال المقالات العلمية النافعة والاكتشافات الرائدة، ولينافسوا المراكز العلمية الأخرى بالإمكانات المتاحة، وليأنفوا من أن يكونوا مجرّد تلامذة لغيرهم في تعلّمها ومستهلكين للآلات والأدوات التي يصنعونها، بل يساهموا مساهمة فعّالة في صناعة العلم وتوليده وانتاجه، كما كان آباؤهم روّاداً فيها وقادةً لها في أزمنة سابقة، وليست أمة أولى من أمة بذلك،

وعليكم برعاية القابليّات المتميّزة بين الناشئين والشباب ممّن يمتاز بالنبوغ ويبدو عليه التفوّق والذكاء حتّى إذا كان من الطبقات الضعيفة وأعينوهم مثل إعانتكم لأبنائكم حتّى يبلغوا المبالغ العالية في العلم النافع، فيكتب لكم مثل نتاج عملهم وينتفع به مجتمعكم وخلفكم.

الرابعة: التزام مكارم الأفعال والأخلاق وتجنّب مذامها، فما من سعادةٍ وخيرٍ إلاّ ومبناها فضيلة، وما من شقاءٍ وشرٍّ ـ عدا ما يختبر الله به عباده ـ إلاّ ومنشؤهُ رذيلة، وقد صدق الله سبحانه إذ قال

﴿ وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ ﴾

﴿ القرآن الكريم، سورة الشورى، آية ٣٠ ﴾

فمن الخصال الفاضلة: المحاسبة للنفس، والعفاف في المظهر والنظر والسلوك، والصدق في القول، والصلة للأرحام، والأداء للأمانة

والوفاء بالعهود والالتزامات، والحزم في الحق، والترفع عن التصرّفات الوضيعة والسلوكيّات السخيفة.

ومن مذامّ الخصال: العصبيّات الممقوتة، والانفعالات السريعة،والملاهي الهابطة، ومراءاة الناس، والإسراف عند الغنى، والاعتداء عند الفقر، والتبرّم عند البلاء، والإساءة إلى الآخرين ولا سيّما الضعفاء، وهدر الأموال، وكفران النعم، والعزّة بالإثم، والإعانة على الظلم والعدوان، وحب المرء أن يُحمد على ما لم يفعله.

وأؤكد على الفتيات في أمر العفاف، فإنّ المرأة لظرافتها أكثر تأذّياً وتضرّراً بالسلبيات الناتجة عن عدم الحذر تجاه ذلك، فلا ينخدعن بالعواطف الزائفة ولا يلجن في التعلقات العابرة مما تنقضي ملذّتها، وتبقى مضاعفاتها ومنغّصاتها. فلا ينبغي للفتيات التفكير إلاّ في حياة مستقرّة تملك مقوّمات الصلاح والسعادة، وما أوقر المرأة المحافظة على ثقلها ومتانتها المحتشمة في مظهرها وتصرفاتها، المشغولة بأمور حياتها وعملها ودراستها.

الخامسة: الاهتمام بتكوين الأسرة بالزواج و الإنجاب من دون تأخير، فإنّ ذلك أنسُ للإنسان ومتعة، وباعثُ على الجدّ في العمل، وموجبُ للوقار والشعور بالمسؤولية، واستثمار للطاقات ليوم الحاجة ووقاية للمرء عن كثيرٍ من المعاني المحظورة والوضيعة حتى ورد أنّ من

تزوّج فقد أحرز نصف دينه، وهو قبل ذلك كلّه سنة لازمة من أوكد سنن الحياة وفطرة فطرت النفس عليها، لم يفطم امرؤ نفسه عنها إلاّ وقع في المحاذير وابتلى بالخمول والتكاسل، ولا يخافنّ أحدٌ فيه فقراً فإنّ الله سبحانه جعل في الزواج من أسباب الرزق ما لا يحتسبه المرء في بادىء نظره، وليهتم أحدكم بخلق من يتزوجها ودينها ومنبتها، ولا يبالغن في الاهتمام بالجمال والمظهر والوظيفة فإنّه اغترار سرعان ما ينكشف عنه الغطاء عند ما تفصح له الحياة عن جدّها واختباراتها، وقد ورد في الحديث التحذير من الزواج بالمرأة لمحض جمالها، وليعلم أنّ من تزوّج امرأة لدينها وخلقها بورك له فيها.

ولتحذر الفتيات وأولياؤهن من ترجيح الوظائف على تكوين الأسرة والاهتمام بها، فإنّ الزواج سنّة أكيدة في الحياة، والوظيفة أشبه بالنوافل والمتمّمات، وليس من الحكمة ترك تلك لهذه، ومن غفل عن هذا المعنى في ريعان شبابه ندم عليها عن قريب حين لا تنفعه الندامة، وفي تجارب الحياة شواهد على ذلك.

ولا يحلّ لأوليائهنّ عضلهن عن الزواج أو وضع العراقيل أمامه بالأعراف التي لم يلزم الله بها مثل المغالاة في المهور والانتظار لبني الأعمام أو السادات، فإنّ في ذلك مفاسد عظيمة لا يطلعون عليها، وليعلم أنّ الله سبحانه لم يجعل الولاية للآباء على البنات إلاّ للنصح لهن والحرص على صلاحهن و من حبس امرأة لغير صلاحها فقد باء

بإثمٍ دائمٍ ما دامت تعاني من آثار صنيعه وفتح على نفسه بذلك باباً من أبواب النيران.

السادسة: السعي في أعمال البرّ ونفع الناس ولا سيّما ما يتعلّق بشؤون الأيتام والأرامل والمحرومين ومراعاة الصالح العامّ، فإنّ فيها تنمية للإيمان وتهذيباً للنفس وزكاة لما أوتيه المرء من نعم وخيرات، وفيها سنّ للفضيلة وتعاون على البرّ والتقوى وأداء صامت للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ومساعدة لأولياء الأمور على حفظ النظام العامّ ورعاية المصالح العامة، وموجبٌ لتغيير حال المجتمع إلى الأفضل، فهو بركة في هذه الدنيا ورصيد للآخرة، وإنّ الله سبحانه يحبّ المجتمع المتكافل المتآزر الذي يهتّم المرء فيه بهموم إخوانه وبني نوعه ويحبّ لهم من الخير مثل ما يحبّ لنفسه. وقد قال عزّ من قائل: ﴿وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾، وقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾، وقال النبيّ (صلّى الله عليه وآله): "لا يؤمن أحدكم حتّى يحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه ويكره لأخيه ما يكره لنفسه"، وقال أيضاً: "من سنّ سنة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها".

السابعة: أن يُحسن كلّ امرئ وليَ شيئاً من شؤون الآخرين أمر ما تولاّه، سواء في الأسرة أو في المجتمع، فليُحسن الآباء رعاية أولادهم والأزواج رعاية أهاليهم وليتجنّبوا العنف والقسوة حتّى فيما اقتضى

الموقف الحزم رعايةً للحكمة وحفاظاً على الأسرة والمجتمع ، فإنّ أساليب الحزم لا تنحصر بالإيذاء الجسدي أو الألفاظ النابية بل هناك أدوات ومناهج تربوية أخرى يجدها من بحث عنها وشاور أهل الخبرة والحكمة بشأنها، بل الأساليب القاسية كثيراً ما تؤدّي إلى عكس المطلوب بتجذّر الحالة التي يراد علاجها وانكسار الشخص الذي يُراد إصلاحه، ولا خير في حزمٍ يقتضي ظُلماً، ولا في علاج لخطأٍ بخطيئة.

﴿ إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ ﴾

﴿ القرآن الكريم، سورة الرّعد، آية ١١ ﴾

ومن ولّي أمراً من أمور المجتمع فليهتم به وليكن ناصحاً لهم فيه ولا يخونهم فيما يغيب عنهم من واجباته، فإنّ الله سبحانه متولٍّ لأمورهم وأمره جميعاً و سوف يسأله يوم القيامة سؤالاً حثيثاً، فلا ينفقن أموال الناس في غير حلّها، ولا يقرّرن قراراً في غير جهة النصح لهم، ولا يستغلّن موقعه لتكوين فئة وحزب يتستّر بعضهم على بعضٍ

ويتبادلون المنافع المحظورة والأموال المشبوهة، ويزيحون الآخرين عن مواضع يستحقونها أو يمنعون عنهم خدمات يستوجبونها، وليكن عمله لجميع الناس على وجه واحد فلا يجعله سبيلاً للمجازاة على حقوق خاصّة عليه لقرابة أو إحسان أو غير ذلك، فإنّ وفاء الحقوق الخاصّة بالحق العام جور وفساد، فإن ساغ لك ترجيح أحد فعليك بترجيح الضعيف الذي لا حيلة له ولا جهة وراءهُ ولا معين له على أخذ حقّه إلاّ الله سبحانه. ولا يستظهرنّ أحد في توجيه عمله بدين أو مذهب، فإنّ الدين والمذاهب الحقّة قائمة على المبادئ الحقّة من رعاية العدل والإحسان والأمانة وغيرها، وقد قال الله سبحانه: ﴿لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ وَأَنزَلْنَا مَعَهُمُ الْكِتَابَ وَالْمِيزَانَ لِيَقُومَ النَّاسُ﴾، وقال الإمام (عليه السلام): "إنّي سمعت رسول الله (صلّى الله عليه وآله) يقول في غير موطن: لنْ تُقَدَّسَ أُمَّةٌ لا يُؤْخَذُ لِلضَّعِيفِ فِيهَا حَقَّهُ مِنَ الْقَوِيِّ غَيْرَ مُتَعْتِعٍ". فمن بنى على غير ذلك فقد زيّن لنفسه الأماني الزائفة والآمال الكاذبة، وأحقّ الناس بأئمة العدل كالنبيّ (صلّى الله عليه وآله)، والإمام علي (عليه السلام)، والحسين الشهيد (عليه السلام) أعملهم بأقوالهم وأتبعهم لسيرتهم، وليلتزم المتولي لأمور الناس بمطالعة رسالة الإمام علي (عليه السلام) لمالك الأشتر عندما بعثه إلى مصر، فإنّها وصف جامع لمبادئ العدل وأداء الأمانة وهو نافعٌ للولاة ومن دونهم كلٌّ بحسب ما يناسب حاله، وكلّما كان ما تولاّه المرء أوسع كان ذلك له ألزم وآكد.

الثامنة: أن يتحلّى المرء بروح التعلّم وهمّ الازدياد من الحكمة والمعرفة في جميع مراحل حياته ومختلف أحواله، فيتأمل أفعاله وسجاياه وآثارها وينظر في الحوادث التي تدور حوله ونتائجها، حتى يزداد في كلّ يوم معرفة وتجربة وفضلاً، فإنّ هذه الحياة مدرسة متعدّدة أبعادها، عميقة أغوارها، لا يستغني المرء فيها عن التزوّد من العلم والمعرفة والخبرة، ففي كلّ فعل وحدث دلالة وعبرة، وفي كلّ واقعة رسالة ومغزى، تفصح لمن تأمّلها عما ينتمي إليه من الظواهر والسنن، وتُمثّل ما يناسبها من العظات والعبر، فلا يستغني المرء فيها عن التزود من العلم والمعرفة والخبرة حتّى يلقى الله سبحانه، وكلّما كان المرء أكثر تبصّراً أغناه ذلك في معرفة الحقائق عن مزيد من التجارب والأخطاء. وقد قال تعالى: ﴿وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً﴾، وقال لنبيّه (صلّى الله عليه وآله): ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾.

﴿ وَمَن يُؤْتَ الحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْراً كَثِيراً ﴾

﴿ القرآن الكريم، سورة البقرة، آية ٢٦٩ ﴾

وينبغي للمرء أن يأنس بكتبٍ ثلاثة يتزوّد منها بالتأمّل والتفكير:

- **أوّلها وأولاها: القرآن الكريم فهو آخر رسالة من الله سبحانه إلى خلقه وقد أرسلها إليهم ليثير دفائن العقول ويفجّر من خلالها ينابيع الحكمة، ويليّن بها قساوة القلوب، وقد بيّن فيها الحوادث ضرباً للأمثال، فعلى المرء أن لا يترك تلاوة هذا الكتاب على نفسه، يُشعرها أنّه يستمع إلى خطاب الله سبحانه له، فإنّه تعالى أنزل كتابه رسالة منه إلى جميع العالمين.**

- **وثانيها: نهج البلاغة فإنّه على العموم تبيين لمضامين القرآن وإشاراته بأسلوب بليغ يُحفّز في المرء روح التأمل والتفكير والاتّعاظ والحكمة. فلا ينبغي للمرء أن يترك مطالعته كلّما وجد فراغاً أو فرصة، وليشعر نفسه بأنّه ممّن يخطب فيهم الإمام (عليه السلام) كما يتمنّاه، وليهتمّ برسالته (عليه السلام) إلى ابنه الحسن (عليه السلام) فإنّها جائت لمثل هذه الغاية.**

- **وثالثها: الصحيفة السجّادية فإنّها تتضمّن أدعية بليغة تستمدّ مضامينها من القرآن الكريم وفيها تعليم لما ينبغي أن يكون عليه الإنسان من توجّهات وهواجس ورؤى وطموح، وبيان لكيفيّة محاسبته لنفسه ونقده لها ومكاشفتها بخباياها وأسرارها، ولا سيّما دعاء مكارم الأخلاق منها.**

فهذه ثمان وصايا هي أصول الاستقامة في الحياة وأركانها ، وهي تذكرة ليس إلاّ، إذ يجد المرء عليها نور الحق وضياء الحقيقة وصفاء الفطرة

وشواهد العقل وتجارب الحياة قد نبّهت عليها الرسائل الإلهية ومواعظ المتبصّرين، فينبغي لكلّ امرئ أن يأخذ بها أو يسعى إليها ولا سيّما الشباب الذين هم في عنفوان طاقتهم وقدراتهم الجسدية والنفسية والتي هي رأس مال الإنسان في الحياة، فإن فاتهم بعضها أو المرتبة العالية منها فليعملوا أنّ أخذ القليل خيرٌ من ترك الكثير، وإدراك البعض خير من فوات الكل، وقد قال سبحانه: ﴿فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾.

﴿ فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ خَيْراً يَرَهُ * وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ ﴾

﴿ القرآن الكريم، سورة الزلزلة، آية ٧ و٨ ﴾

أسأل الله أن يوفقكم لما يفضي بكم إلى السعادة والسداد في الآخرة والأولى فإنّه وليّ التوفيق.

علي الحسيني السيستاني

النجف الأشرف

٢٨ ربيع الأول ١٤٣٧

الملحق

مختصر عن السيرة الذاتية لسماحة
السيد السيستاني دام ظله[6]

الولادة والنسب

ولد في التاسع من شهر ربيع الأول عام ١٣٤٩ للهجرة في مدينة مشهد المقدسة بإيران.

والده هو العالِم السيد محمد باقر، نجل العالِم السيد علي الحسيني السيستاني (رحمهما الله)، وهما من العلماء المبرزين والمعروفين في الحوزات العلمية في النجف الأشرف وقم المقدسة ومشهد المقدسة.

---

6) اعتمدنا أغلب هذه المعلومات من الموقع الرسمي لمكتب سماحة السيد السيستاني www.sistani.org مع بعض الإضافات والتعديلات.

ينتهي نسبه إلى الإمام الحسين بن علي بن أبي طالب (عليهما السلام) وابن فاطمة بنت محمد (صلى الله عليه وآله).

شخصيته

يلاحظ كثير ممن عاشر سماحة السيد السيستاني وجالسه وتعاطى معه أنه منذ شبابه كان قليل الكلام وكثير التأمل والتفكر. هادئ الطبع، قانع، وصبور إلى درجة كبيرة. يتصف بالتواضع الشديد والحياة البسيطة بتمام معانيها، والزهد باد عليه في مأكله ومشربه وملبسه ومسكنه. لا يرغب بالتظاهر ويحرّم على العاملين في مرجعية ووكلائه ومعتمديه صرف درهم واحد في ترويج وتبليغ مرجعيته أو نشر صوره في الأماكن العامة. كما إنه يبتعد عن الألقاب والمسميات إلى درجة أن حذف لقب "آية الله" من بعض صفحات الموقع الالكتروني لمكتبه. بل إنه يمنع من أن تسجل مؤسسة أو مركز أو مكان بإسمه او لقبه، إنما يرشد دائماً بتسمية الصروح العلمية والأبنية التابعة لها باسماء علماء دين قدماء من أجل أن تحيى أسماؤهم من جديد وتبقى في الذاكرة الحاضرة دائماً. وأخيراً روحه الأبوية، فهو لا يفرق بين أحد وأحد مهما اختلفت الألوان أو اللغات أو القوميات أو التوجهات. فهو يعتبر نفسه أب للجميع ولا بد له من مراعاة أعلى درجة العدالة والاستيعاب اتجاه الجميع.

المسيرة العلمية

بدأ بتعلم القرآن والقراءة والكتابة وهو ابن خمس سنوات. ثم شرع بدراسة العلوم الدينية وهو في بداية عقده الثاني، واستمر بطي مراحل الدراسة حتى حضر أبحاث العقيدة لآية الله الميرزا مهدي الآشتياني وأبحاث الخارج في الفقه لآية الله المرحوم الميرزا هاشم القزويني في مشهد المقدسة.

انتقل إلى الحوزة العلمية في قم المقدسة أواخر عام ١٣٦٨هـ فحضر بحوث المرجع الكبير السيد حسين الطباطبائي البروجردي (رحمه الله) في الفقه والاصول، وتلقى عنه الكثير من خبرته الفقهية ونظرياته في علم الرجال والحديث. كما حضر درس الفقيه الكبير السيد محمد الحجّة الكوهكمري (رحمه الله).

هاجر إلى الحوزة العلمية في النجف الأشرف أوائل عام ١٣٧١ هـ واستقر بها إلى هذا اليوم. وحضر البحوث الفقهية والاصولية للعلمين الكبيرين السيد أبو القاسم الموسوي الخوئي (رحمه الله) والشيخ حسين الحلّي (رحمه الله) ولازمهما مدّة طويلة. كما حضر خلال ذلك أيضاً بحوث بعض الأعلام الآخرين منهم السيد محسن الحكيم (رحمه الله) والسيد محمود الشاهرودي (رحمه الله).

برز من بين أقرانه بسرعة البديهة وكثرة التحقيق والتتبع ومواصلة النشاط العلمي وإلمامه بكثير من النظريات في مختلف الحقول العلمية الحوزوية حتى مُنح من بين زملاه وأقرانه في عام ١٣٨١ هـ (أي وهو في الثلاثين من عمره) الشهادات التالية على يد كبار العلماء:

١) شهادة الاجتهاد المطلق من قبل أستاذه سماحة السيد الخوئي (قدّس سرّه) والذي لم يمنح شهادة كهذه لأحد إلا له وللشيخ علي الفلسفي.

٢) شهادة الاجتهاد المطلق من قبل أستاذه الشيخ حسين الحلي (قدّس سرّه) والذي لم يمنح شهادة إجتهاد مطلق لغيره.

٣) شهادة كبير المحدّثين الشيخ آغا برزك الطهراني (قدّس سرّه) يطري فيها على مهارته في علمي الرجال والحديث وهي مؤرخة كذلك في عام ١٣٨٠ هـ.

مارس تدريس أبحاث الخارج الفقهية منذ ١٣٨١ هـ، والأصولية منذ ١٣٨٤ هـ حتى اضطرته الظروف الأمنية التوقف عن ممارسة التدريس العام خلال السنين الأخيرة.

له العديد من التأليفات والأبحاث، مطبوعة وغير مطبوعة، تجاوزت الأربعين عنواناً ومؤلفاً، مسردة بتمامها على الموقع الألكتروني لمكتب سماحته (مد ظله).

مميزات مدرسته الفكرية

اهتمامه في معرفة جذور المسألة الفقهية وظروفها المحيطة والعوامل الدخيلة بما فيها الأجواء العقائدية والسياسية، قبل إبداء رأيه الفقهي فيها. فهو لا يقف على حدود النص وحده.

الربط بين الفكر الحوزوي وبين الثقافات المعاصرة، إذ أن المسألة الواحدة قد تتمظهر بعدة تمظهرات وتعكس أكثر من جانب من جوهرها فتتعدد وجوه الحقيقة الواحدة، الأمر الذي يقتضي الاحاطة والمعرفة بجميع المدارس والخلفيات التي تقف وراء تعدد التفسيرات والآراء.

التزامه مبدء "التجديد" في النظريات والمباني الفقهية والأصولية وليس فقط مناقشة ما هو موجود والتعليق عليه. كمثال في قاعدة "الإحترام" أي احترام الآخرين وآرائهم وقوانينهم. فهو جدد هذا المبدء الإسلامي الرصين وصاغه في قاعدة فقهية يعتمدها المكلف الذي يعيش في بلدان غير اسلامية وفي مجتمعات مختلطة ومتنوعة الاديان والانتماءات.

التزامه مبدء البحث المقارن بين مناهج الحوزات العلمية الكبرى معتمداً على أبرز فقهائها وأساطينها. فهو يطرح آراء السيد البروجردي تعبيراً عن منهجية مدرسة قم المقدسة، ويطرح آراء السيد الخوئي والشيخ حسين الحلي تعبيراً عن منهجية مدرسة النجف الأشرف، ثم يقارن ويحلل وثم يبدي رأيه. وهكذا يفعل في المسائل الخلافية بين أعلام المذهب الإمامي الشيعي وأعلام المذاهب الإسلامية الأخرى.

سعة اطلاعه على العلوم والتخصصات الأخرى كعلم القانون الحديث مثلاً. فهو يراجع القانون الفرنسي والمصري والعراقي مثلاً ويستعين بها على تحليل القواعد الفقهية وتوسعة مداركها وموارد تطبيقها.

مرجعيته

كان من المبرّزين بين تلامذة المرجع الديني الأعلى السيد الخوئي رحمه الله (١٤١٣ هـ)، وقد انفرد بالتدريس في أبحاث الخارج على عهد أستاذه. كما أولته رعاية الأستاذ رعاية خاصة حتى أنابه لإمامة الصلاة في مسجد الخضراء. وبعد وفاة السيد الخوئي – حيث برزت مرجعية السيد الكلبايكاني رحمه الله في قم، ومرجعية السيد عبد الأعلى السبزواري رحمه الله في النجف إذ لم يسمح

القضاء والقدر لهما بالحياة كثيراً حيث توفيا في فترة قريبة (١٤١٤ هـ)، أعقبهما بروز مرجعية الشيخ محمد علي الأراكي والسيد محمد الروحاني رحمهما الله، وهما الآخران اللذان لم يمنحهما القدر مزيداً من الحياة– كانت الأنظار تتوجه إلى سماحة السيد السيستاني (دام ظله) في داخل الأوساط الحوزوية والعلمية لما له من فضل ومكانة علمية سامية وورع وحكمة وتدبير. وقد أرجع اليه في التقليد جمع من العلماء الأعلام كسماحة آية الله السيد علي البهشتي وسماحة آية الله الشيخ مرتضى البروجردي وعدد غير قليل من كبار أساتذة الحوزات في النجف الأشرف وقم المقدسة. وعلى أثره أخذ المؤمنون يرجعون إليه في التقليد في العراق وإيران وبلاد الخليج وباكستان والهند فعمّ تقليده مختلف الأقطار الإسلامية ورجع إليه معظم المؤمنين في شتى أنحاء العالم. وهو حتى اليوم المرجع الديني الأعلى والأول للمؤمنين على صعيد الطائفة، أدام الله ظله ونفع بوجوده الإسلام والمسلمين.

جهاده ومواقفه

مارس أعلى درجات المقاومة من صبر وصمود في مقارعة مخطط النظام البعثي في القضاء على الحوزة العلمية. فقد عمد النظام البعثي إلى عمليات تسفير واسعة للعلماء والفضلاء وسائر الطلاب، ومنهم عدد كثير من طلبة سماحة السيد السيستاني، بل

حتى هو شخصياً كاد أن يُسفّر عدة مرات، وتعرّض إلى الاستجواب أكثر من مرة وتحمل إهانات وإساءات عديدة من البعثين، ولكن كل ذلك لم يؤثر في صلابة موقفه بعدم ترك الحوزة العلمية في النجف الأشرف.

تعرض أثناء الحرب العراقية الإيرانية إلى مضايقات وضغوط من النظام البعثي فقاومها. وحينما ثار الشعب العراقي في الإنتفاضة الشعبانية عام ١٤١١ هـ وثم تمكن النظام من قمعها بالحديد والنار عمد إلى اعتقال سماحة السيد السيستاني ومعه مجموعة من العلماء قد أُخضعوا للاضطهاد والاستجواب القاسي وتعرضوا للضرب في معتقل الرضوانية السئ الصيت في بغداد. وقد قام النظام البعثي باغتيال بعضهم لاحقاً كالشهيد آية الله الشيخ مرتضى البروجردي والشهيد آية الله الميرزا علي الغروي.

وفي عام ١٤١٣ هـ عندما توفي المرجع الأعلى السيد السيد الخوئي (رضوان الله عليه) وقد تقبل حينها سماحة السيد السيستاني التصدي للمرجعية، حاول النظام البعثي وضغط لتغيير مسار المرجعية الدينية في النجف الأشرف وبذل ما في وسعه في الحطّ من موقع السيد السيستاني ومكانته المتميزة بين الفقهاء وسعى إلى تفريق المؤمنين عنه

بأساليب متعدّدة، ومنها إغلاق جامع الخضراء[7] أواخر عام ١٤١٤ هـ. وحينما بائت جميع المحاولات بالفشل عمد إلى تخطيط عملية اغتيال له وتصفيته. وقد كشفت وثائق المخابرات عن ذلك بعد سقوط نظام البعث[8]. وعلى إثرها بقي رهين داره سنين طويلة لم يتمكن حتى من زيارة قبر أمير المؤمنين عليه السلام وهو يقطن بجواره على بعد أمتار.

بعد سقوط النظام البعثي واحتلال العراق عام ١٤٢٤ هـ (٢٠٠٣ م) حاول المحتلون فرض دستور ونظام محدد على العراق. فما كان من سماحة السيد السيستاني مد ظله إلا أن تصدى أولاً بإبراق رسالة إلى مجلس الأمن يحذر من اعتماد ما يسمى بقانون إدارة الدولة المؤقت. وبالفعل استجاب مجلس الأمن وعمل برأي سماحة السيد. وثانياً أصدر فتواه الشهيرة التي أوجب فيها ضرورة أن يكتب الدستور بأيدٍ عراقية فقط، ثم يتم عرض الدستور على الشعب العراقي في استفتاء عام ليقبله أو يرده، وضرورة أن يكون الدستور ليس فيه ما يتعارض

7) وهو جامع تأريخي ملاصق لحرم أمير المؤمنين عليه السلام له رمزية واعتبارية كبيرة، وكان لسنوات مديدة لا يؤم الصلاة فيه للمؤمنين سوى مراجع الطائفة الكبار حصرياً، وهناك يلقون أبحاثهم ويمارسون تدريسهم.

8) "The Hawza under Siege," by Dr. Abbas Kadhim, Boston University. Online PDF file available on: http://www.bu.edu/iis/files/2013/04/Bath-Party-ArchiveFinal-1.pdf

مع الثوابت الاسلامية والقيم النبيلة للشعب العراقي[9]. وهذا ما حصل بالفعل، وعليه تم بناء نظام الحكم في العراق الحديث على هذا الأساس وفقاً لمبدء وموقف المرجعية الدينية العليا المتمثلة بسماحة آية الله العظمى السيد السيستاني مد ظله. وبخطوته هذه لم يحفظ العراق من هيمنة المحتلين عليه فحسب بل ساهم في حماية المنطقة كلها من مخطط كبير كان يفترض أن يبدأ بالعراق أولاً.

اضطر سماحة السيد السيستاني الى مغادرة العراق في ١٩ جمادي الثاني ١٤٢٥ هـ (٦ آب ٢٠٠٤) لإجراء عملية جراحية في القلب في إحدى مستشفيات لندن. الأمر الذي شجع أطرافاً عديدة داخلية وخارجية على استغلال الفراغ الحاصل وأثره النفسي على مجمل الأوضاع، فاندلعت أعمال عنف في العراق وعلى أثرها تخندقت بعض الأطراف المتحاربة في الصحن العلوي الشريف حتى تعرضت النجف الاشرف الى القذائف والدمار وصار الحرم الشريف بمجمله في مهب الدمار. وفي هذه اللحظات وما أن سمحت الجهات الطبية المختصة في المستشفى ببريطانيا لسماحة السيد الإذن بالانصراف، أقفل راجعاً من دون أي تأني الى العراق في أول طائرة متوفرة أقلته الى الكويت، ومن مطار الكويت مباشرة دخل العراق من جهة البصرة. ثم خرج من البصرة ومعه ملايين

9) أنظر الفتوى من على موقع مكتب سماحة السيد السيستاني:
http://www.sistani.org/arabic/archive/273/

المؤمنين بمسيرة زاحفة الى النجف الاشرف رغم كل المخاطر واحتمال حصول فجيعة كبرى قامت أطراف بالتهديد وبالوعيد بها، إلا أن سماحته دام ظله أصر على تحرير النجف الأشرف من الصراع القائم وعلى وأد الفتنة مهما كلف الثمن. وبالفعل دخل سماحة النجف ومعه الملايين النجف الأشرف في التاسع من شهر رجب، وقد غطت الألوف منهم الحرم الشريف ومَن فيه فخرج مَن كان متحصناً فيه ملقياً سلاحه. وبهذا أنهى سماحته كارثة مؤكدة كادت أن تذهب بهيبة المذهب الإمامي بأكمله.

طيلة عامي ٢٠٠٥ و٢٠٠٦ شهد العراق إثر سقوط نظام البعث وتعرضه إلى سلطات الإحتلال تعرضه إلى موجهات غير عادية من الاحتقان الطائفي المسيّس. وعلى أثره بدأت حملات مسعورة من القتل على الهوية بشكل يندى له الجبين من هتك للحرمات وقتل للأبرياء، وكان أئمة الضلال وقادة بعض الفئات تقود هذه الفتنة الطائفية بكل ما أوتيت من مال وسلاح وإعلام حتى بلغ الأمر إلى تفجير المقام الشريف للإمامين العسكريين في سامراء في ٢٣ محرم ١٤٢٧ هـ، فكاد البلد أن ينفجر بأكمله ويأتي بالدماء ما يصبغ به نهري دجلة والفرات. وهنا مارس سماحة السيد السيستاني حكمته وحنكته بأعلى درجاتها، والتزم رباطة الجأش بأعلى درجاته، رغم كل ما كان يراه ويبلغه من مآسي وفضاعات، فلم يكن يصدر منه سوى الفتوى بعد الفتاوى والإرشادات بعد الإرشادات بحرمة التعرض إلى أي إنسان بريء، مسلم أو غير مسلم، شيعي أو سني، وكان يقول

لا تقولوا إخواننا أهل السنة بل قولوا أنفسنا. وحرم الاستيلاء على مساجد لطائفة على طائفة أخرى، وضغط وأجبر بعض المتحمسين على إخلاء بعد دور العبادة التي استولوا عليها وإن كان هي بالأصل في مناطقهم وترجع إليهم. وبهذا استطاع إسكات النعرات الطائفية وأرجع العراق وشعبه الى بر السلم والأمان مرة أخرى، رغم ان المحاولات لا زالت باقية ومستمرة هنا وهناك.

أخيراً وليس آخراً، فتواه التأريخية في الجهاد الكفائي[10] في ١١ شعبان ١٤٣٥ ضد طغمة الإرهاب داعش التي فجأة اجتازت الحدود واستولت على الموصل ووصلت الى بغداد على نحو بضعة كيلومترات منها، أمام انهيار تام للجيش العراقي وخيانة كبرى لقياداته المكلفة في المناطق تلك. وسرعان ما استجابت ألوف مؤلفة من المؤمنين تطوعوا وانخرطوا ضمن تشكيلات الجيش العراقي بعنوان "متطوعين" بأمر من سماحة السيد دام ظله إذ رفض أن يكون ذلك خارج إطار التشكيلات الحكومية والجيش العراقي الرسمي. وقد سجلت هذه الفتوى سبقاً تأريخياً بعد مرور نحو ماءة عام على فتوى الجهاد في ثورة العشرين ضد الاحتلال البريطاني للعراق آنذاك، وعلى أثرها حفظ العراق بل والمنطقة من سقوط محتوم بيد خوارج العصر وأئمة الضلال من الارهابيين والمتطرفين.

---

10) أنظر الفتوى من على موقع مكتب سماحة السيد السيستاني:
http://www.sistani.org/arabic/statement/24906/

ونسأل الله تعالى أن يقي المؤمنين وبلادهم شر الأعداء وأوباش العصر المتمثلين بالوهابيين وأذنابهم من القاعدة وطالبان وداعش والنصرة وغيرهم من مسميات، وأن يعجل بفرج مولانا صاحب العصر والزمان عليه السلام ليملئها قسطاً وعدلاً بعد أن ملئت ظلماً وجوراً.

إن سماحة السيد السيستاني هو أول مرجع ديني يشيد مجلس الأمن في الامم المتحدة به وبدوره في محاربة الإرهاب ورعايته للمهجرين من مسلمين سنّة ومن مسيحيين وأقليات نزحوا إلى النجف الأشرف وكربلاء المقدسة إثر الهجوم الوحشي لعصابة داعش الإرهابية. جاء ذلك بتقرير مجلس الأمن الصادر بتأريخ ١٠ كانون الثاني ٢٠١٤[11]. كما إنه هو أو مرجع ديني يزوره الأمين العام للأمم المتحدة في مقره في النجف الأشرف من أجل شكره وتقديره على جهوده ومواقفه ضد التطرف والإرهاب. ففي تأريخ ٢٤ تموز ٢٠١٤ زار الأمين العام لمنظمة الأمم المتحدة سماحة السيد السيستاني وتحدث معه نحو ساعة من الوقت. وقد أعرب عن شكره وتقديره لمواقف السيد السيستاني الداعية لحفظ وحدة البلد والسلام. وقال: "إن سماحة السيد يتمتع بالحكمة والتسامح والإلهام لجميع أتباعه سواء هنا أو في العالم، ويشرفني لقاءه للمرة الأولى".

(11 http://www.un.org/apps/news/story.asp?NewsID=46909&Cr=Iraq&Cr1=#.VwigrEfko1p

وأضاف: "أعربت عن عرفان الأمم المتحدة لدعم سماحته كل الجهود الرامية لحماية المدنيين في الصراع الحالي، كما أعربت عن تقديرنا لنداء سماحته الداعي الى الامتناع عن الخطاب الطائفي". وختم الأمين العام بان كي مون بقوله: "مرة اخرى اعرب عن سعادتي لزيارة سماحة السيد و اعرب عن دعمي الكامل و دعم الامم المتحدة لاهل النجف الاشرف و العراق من اجل عراق مسالم مسامح و مزدهر[12]".

12) http://www.un.org/sg/offthecuff/index.asp?nid=3496

لا يخفى ما للشباب من أهمية ودور في تنمية ونهوض ونجاح أي مجتمع، نظراً لما تهيج به جوانحهم من حماس وآمال وطموحات وتطلّعات. إلّا أن ذلك لا يمكن أن يأتي بنتائج مثمرة بعيداً عن التوجيه السليم والخبرة العملية.

الكتيّب الماثل بين يديك أيها القارئ الكريم .. عصارة تجارب ونصائح رجل جاوز الثمانين من عمرٍ ملئ ومفعمٍ بالإلهام الروحي والعمق الديني وتراكم كمٍ هائلٍ من مختلف التجارب العلمية والعملية حتى جعلته واحداً من أهم القادة الروحيين والرساليين المميزين في العالم المعاصر، ولا زال عاملاً مجاهداً مكرّساً حياته لله وللإنسان.

إنها قلادة دُرر مرصّعة أتت بمثابة خارطة طريق تضمن حياة ناجحة وموفقة للشباب فيما إذا أرادوا مستقبلاً رياديا ومميزاً.

نأمل أن يسهم هذا الإصدار بنشر رسالة المؤلف في مختلف الأوساط الدينية والثقافية بما يخدم الإنسانية جميعاً.

ISBN 9780998254432

I.M.A.M.